

الجمال والجلال والبهاء وعلاقتهما بالفلسفة

المدرس المساعد
زينة علي جاسم
جامعة الكوفة - كلية الفقه

الجمال والجلال والبهاء وعلاقتهما بالفلسفة

المدرس المساعد
زينة علي جاسم
جامعة الكوفة - كلية الفقه

المقدمة:-

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا كُفْرَ فِيهَا جَمَالًا حِينَ تَرْجُوْنَ وَحِينَ تَسْرُحُونَ﴾.

النحل: ٦.

أي البهاء والحسن والجمال. والحسن يكون في الخلق والخلق. وقد جُمِلَ الرجل (بالضم) جمالا فهو جميل، والجمال (بالضم والتشديد): أجمل من الجميل. وجملة أي زينه. وجملتها أي زينتها، والتجمل: تكلف الجميل. وجمّل الله عليك تجميلا: إذا دعوت له أن يجعله الله جميلا حسنا، وامرأة جملاء وجميلة. قال ابن الاثير: والجمال يقع على الصور والمعاني ومنه الحديث الشريف: "إن الله جميل يحب الجمال"، أي حسن الأفعال، كامل الأوصاف. والمجاملة: المعاملة بالجميل هكذا نبدأ رحلة في فضاء الجمال من منطلق الخالق ورسوله ونرى ذلك جليا في رؤى الإنسان واستقباله له حيث يظل الإنسان هو محور الجمال بما انه مركزه وموره والمدرك الوحيد له فالإنسان كما تقول الاغريقية أعجب العجائب وهو مركز الكون مما دفع علماء الاجتماع للوصول إلى صيغة جامعة تعرف الإنسان وتميزه عن باقي الكائنات الحية. وحددت علاقات ثلاث في تعريف الإنسان إن الكائن البشري إذا فقد احدى هذه العلاقات يخرج عن كونه إنساناً ذو قيمة ولا يمكن أن يخطو خطوات جادة في تعظيم الإرث البشري الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحتى الجمالي وهذه العلاقات هي:

العلاقة المعرفية أي (المنطق - الحق) والعلاقة الأخلاقية أي (الخير) والعلاقة الجمالية، الجمال. (يتسم الإنسان للوهلة الأولى بنفس الاحتياجات التي تلازم أي كائن حي آخر، فهو ملزم بأن يأكل ويشرب ويحمي نفسه من البرد والحر ومن هجمات الاعداء وأن يحافظ على نسله، غير إنه يلبي هذه الاحتياجات بطريقة تختلف عن سلوك الحيوان.

أما الحيوان فمهما قام من افعال معقدة تشبه للوهلة الأولى أفعال الإنسان يبقى على الدوام خاضعاً لتأثير احتياجاته البيولوجية المباشرة.

فالشيء الذي لا يمس أسس نشاط الحيوان الحياتية يبقى وكأنه غير موجود بالنسبة له. فأن الكائنات الحية غير الإنسان ليس من سجايها معرفة العالم بحد ذاته أي (العلاقة المعرفية) والتمتع بجمال العالم وشموخ الجبال وبصفاء السماء وخضرة الغابات ونقاء الأنهار، لا يشكل أي شيء ذو قيمة بالنسبة للحيوان لهذا فهو لا يكثرث بالعلاقة الجمالية.

وليس من سجايا الحيوان أيضا القدرة على أن يضع نفسه في محل سواء أي أن يضحي بنفسه وينكر ذاته من اجل باقي الحيوانات من بني جنسه لهذا فهو يفتقر للعلاقة الأخلاقية التي تتمثل في الخير.

يقول بتشه (إن النمر يعرف جيدا كيف يجب ان يكون نمراً، والعنكبوت يحيا مثلما تحيا العناكب والسنونو تطبعت بالطباع التي تليق بالسنونو، سوى الإنسان وحده ملزم بأن يتعلم كيف يجب ان يكون إنساناً) ويلاحظ ان السعي إلى الحقيقة المطلقة والحاجة إلى الجمال والتعطش إلى الخير من ابرز واهم مواصفات الإنسان الجاري تناوله من جانب حياته الروحية والمادية. ولكننا إذا اقتصرنا على تعريف جوهر الإنسان باعتباره متحلياً بالحقيقة المطلقة والخير والجمال، فسوف نصطدم بقدر جم من التناقضات لان فهم هذا الثالوث يختلف باختلاف المجتمعات والعصور التاريخية.

إن جوهر الإنسان ليس مجرداً يتسم به فرد بعينه إنما في واقعه مجموع العلاقات الاجتماعية كافة.

بهذا التعريف المقتضب للإنسان الذي أرهق الكثير من علماء الاجتماع وعلماء النفس، وكان حصيلة تطور الفكر البشري ونتيجة دراسات معمقة ومختصة في مجال دراسة الإنسان والمجتمع.

نأتي الآن إلى الجمال وعلمه:

هل للجمال علم وما هو موضوعه وما هي بحوثه وكيف يصنف بين العلوم وهل هو حديث الولادة أم ان له أساس تمتد جذوره في أعماق الفكر البشري وما هي فوائد علم الجمال و.... الخ

هذه الأسئلة وسواها تغزوا عقل كل من يرهق تفكيره في هذا العلم وغيره من العلوم يعرف علم الجمال (Aesthtik) بألمانية و(Esthetique) بالفرنسية و(Aesthetics) بالانكليزية و(Estetica) بالأيطالية و... الخ

بأنه علم الحكام التقويمية التي تميز بين الجميل والقبيح [معجم لالاند] وهذا هو التعريف الكلاسيكي للفظ الاستيطقا.

وان لفظ الاستيطقا (علم الجمال) يعود في أصله إلى اليونانية فهو مشتق من (Aisthesis) التي تعني (الاحساس) ويفد معناها الاشتياقي (نظرية الاحساس) ويتضمن الإدراك الحسي وأنها تعني باليونانية في وقت واحد:

١- المعرفة الحسية أو (الإدراك الحسي).

٢- المظهر المحسوس لإدراكنا والصورة الأولية لحساسيتنا.. إن أول من دعا إلى إيجاد هذا العلم وجعل لفظ الاستيطقا كإسم لعلم الجمال هو الكسندر بومجارتن Baumgarten.G.A (١٧١٤م - ١٧٦٢م) وذلك في

كتاب (تأملات فلسفية في موضوعات تتعلق بالشعر) وقد قصد بومجارتن إلى ربط تقويم الفنون بالمعرفة الحسية مما جعله يعد كمؤسس لهذا العلم.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الاستيطقا من الكلمات التي جرت على الألسنة حتى ان الشاعر جان بول Jen-pau قال سنة ١٨٠٤م (ان زماننا لا يعج بشيء بقدر ما يعج بعلماء الجمال) لكن موضوع هذا العلم وهو الجميل والجمال والقبح كان مطروقا منذ عهد اليونان كأفكار متفرقة عند افلاطون وأرسطو وكزينوقراط وفي عهد الرومان أيضاً مثل أفلوطين وشيشرون... الخ

تصنيف علم الجمال:

يصنف التفكير الفلسفي العلوم، بعلم وضعية وعلم معيارية.

١- العلوم الوضعية: وتهتم بدورها في دراسة:-

- الظواهر الطبيعية

- تعتمد على طرق تجريبية.

- تستنتج قوانين وأحكاماً تقريرية.

- تهتم بدراسة الكائن وتختص بالوقائع.

٢- العلوم المعيارية: وهي العلوم التي تتميز باستعانتها بالعقل.

- تتجاوز الوقائع الجزئية إلى البحث فيما ينبغي عليه ان تكون - تصدر أحكاماً قيمية وتصوغ القواعد أو المعايير، وتدرس العلوم المعيارية القيم الإنسانية الثلاث (الحق - الخير - الجمال).

فإذا كان علم المنطق يضع القواعد والأسس التي تحاول تحديد العقل من

الوقوع في الخطأ ويبحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم.
وإذا كان علم الأخلاق يضع المثل العليا التي ينبغي أن يسير الإنسان في سلوكه بمقتضاها أي كيف يجب أن تكون تصرفات الإنسان.
فإن علم الجمال يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه شيء الجميل ويضع معايير يمكن أن يقاس بها.

إن الجمال يقربنا من جوهرنا الإنساني أكثر ويجعلنا أرقى اجتماعياً وأكثر نفعاً ويقوي من إدراكنا للواقع المحيط ويمدنا بأدوات يمكن عن طريقها أن نفسر ماهية الحياة بل وحتى أكثر من ذلك، باعتباره إحدى أدوات المعرفة يعطينا القدرة على لعب دور مؤثر في التحكم باليات التغيير - تصدر أحكاماً قيمية وتصوغ القواعد أو المعايير، وتدرس العلوم المعيارية القيم الإنسانية الثلاث (الحق - الخير - الجمال).

فإذا كان علم المنطق يضع القواعد والأسس التي تحاول تحديد العقل من الوقوع في الخطأ ويبحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم.
وإذا كان علم الأخلاق يضع المثل العليا التي ينبغي أن يسير الإنسان في سلوكه بمقتضاها أي كيف يجب أن تكون تصرفات الإنسان.

فإن علم الجمال يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل ويضع معايير يمكن أن يقاس بها أن الجمال يقربنا من جوهرنا الإنساني أكثر ويجعلنا أرقى اجتماعياً وأكثر نفعاً ويقوي من إدراكنا للواقع المحيط ويمدنا بأدوات يمكن عن طريقها أن نفسر ماهية الحياة بل وحتى أكثر من ذلك، باعتباره إحدى أدوات المعرفة يعطينا القدرة على لعب دور مؤثر في التحكم باليات التغيير.

الجمال لغة:-

الجمال لغة ((الحسن وحسن الصورة واليسرة)) ويطلق على معنيين.

أولهما: الجمال الذي يعرفه كل الجمهور مثل صفاء اللون وليس الملمس وغير ذلك مما يمكن أن يكتسب فهو على قسمين ذاتي وممكن الاكتساب.

وثانيهما: الجمال الحقيقي فهو أن يكون كل عضو من الأعضاء على أفضل ما ينبغي أن يكون عليه من الهيئات والمزاج^(١) أما البستاني فيعرف الجمال بأنه الحسن في الخلق والخلق وفي الحديث (ان الله جميل يحب الجمال) اي جميل الأفعال^(٢) وفي معجم الراغب الاصفهاني (الجمال الحسن الكثير) وذلك يكون ضربان الأول يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله والثاني ما يوصل منه إلى غيره وقولهم "جمالك ان لا تفعل كذا" إغراء أي لزم الأمر الاجمل ولا تفعل ذلك^(٣) وفي مختار الصحاح فنجد أن (الجمال يعني الحسن، وقد جمَلَ الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمرأة جميلة^(٤) فهو أيضاً الملاحظة ونجد أيضا أن معنى كلمة جمال يعني الوسامة والهناء^(٥) بقول ابن سيدة، الجمال، الحسن يكون في العقل والخلق^(٦) وقد جمَلَ الرجل بالضم جمالا فهو جميل وجمال بالتخفيف هذه اللحياني وجمال الأخيرة لا تكسر والجمال بالضم والتشديد أجمل من الجميل وجمّله أي زينه والتجمل تكلف الجميل وامرأة جملاء وجميلة فهو أحد ما جاء به من مصدر فعلاء لا أفعل لها^(٧) وفي المنجد نجد ان كلمة جمال من المصدر جمَلَ جمالا حسن خلقا وخلقا فهو جميل وهي جميلة وهو الحسن، يقولون ((جمالك ان لم تفعل كذا (اغراء) أي لزم الاجمل ولا تفعل كذا))^(٨).

أما الجمال اصطلاح:

الجمال عند الفلاسفة للأشياء تبعث في النفس السرور والرضا والقبول وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها ادعام القيم اعني الجمال الحق والخير^(٩) من حيث يصرح توفيق الطويل بان الجمال بوجه عام صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس ورضا^(١٠) والعلم الذي يبحث في الجمال (Beauty)

ومقاييسه ونظرياته يسمى بعلم الجمال (Aesthetics) وهو من الفلسفة وبحسب رأي الفلاسفة فالجمال أحيانا في الأشياء وفي مدى موافقته لنا وهو في الخير أو النافع وهو أحيانا في أرواحنا وفي بعض الافكار يمثل الجمال في التوازن والتناسق والتناغم والنظام الذي يجمع بين الأجزاء وربما كان الجمال ما يمتعنا بمجرد تأمله^(١١) وقيل ان علم الجمال "فرع من فروع علم النفس يبحث في الشعور عن الشيء الجميل والذي يستحق الإعجاب وعكسه القبيح" وعلم الجمال علم يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظرياته وفي الذوق الفني وفي أحكام القيم المتعلقة بالاثار النفسية وهو باب من الفلسفة وله قسمان:

قسم نظري عام وقسم عملي خاص:-

أما القسم النظري العام: فيبحث في الصفات المشتركة بين الاشياء الجميلة التي تولد الشعور بالجمال فيحلل هذا الشعور تحليلا نفسيا ويفسر طبيعة الجمال تفسيراً فلسفياً وعدد الشروط التي يتميز بها الجميل من القبيح

أما القسم العملي الخاص فيبحث في مختلف صور الفن وينتقد نماذجه المفردة ويطلق على هذا القسم اسم النقد الأدبي وهو لا يقوم على الذوق وحده بل بما يولد في النفس من الاحساس فحسب بل تقاس بنسبته إلى الصور الغائبة التي يمثلها العقل البشري والجمال والقبح بالنسبة إلى الافعال.

الخير والشر بالنسبة إلى الفعل والحق والباطل بالنسبة إلى العقل^(١٢) فيكتفي بعضهم بجعله (اي الجمال) علاقة بين أجزاء الشيء وهنالك من يستدل عن الصدق وقد يكون الجمال كمال الحيوية في الحي أو كمال الحرية في الكائن للكائن الحر ولطالما استخدمت كلمة الجمال لوصف الأشياء التي يسر مرآها العين فترتاح لها النفس فعلم الجمال " وهو ذلك الفرق من الفلسفة التي تختص بدراسة القيم الفنية مثلما ان الأخلاق تبحث في السلوك القويم الميتافيزيقيا في المبادئ الاستيمولوجيا ونظريات المعرفة والمنطق في استخدام

الفكر للمعرفة على الوجه الصحيح^(١٣) وقد اختلفت اجابات الفلاسفة في اعطاء تعريف شامل للجمال تبعا لاختلاف الازواق واختلاف مناهجهم في المعرفة وموافقهم الميتافيزيقيا عن الوجود والإنسان فقد ذهب أفلاطون وارسطو إلى ان الجمال هو التناسب والائتلاف والنظام والكمال في كل الموجودات في الاشكال والحركات والانظام وغيرها^(١٤).

الجلال:

الجلال لغتاً:

هو جَلالُ الله عظمته^(١٥) وقولهم فعلته من (جلالك) اي من أجلك والجليل العظيم وجلّ بجلّ جلاله وجلالاً عظُماً فهو جليل فالجلال هو العظمة والكبرياء والمجد و السناء والبهاء والجليل هو المتصف بالجلال^(١٦) وكذلك الحال في ترتيب القاموس المحيط على طريقه المصباح المنير يأتي الجلال من العظمة وجلال الله عظمته وقولهم فعلته من جلالك اي من أجلك والجليل العظيم^(١٧).

أما الجلال اصطلاحاً:

اختلف تعريفات الجلال عند الفلاسفة فبعضهم قال ان الجليل هو السامي والرائع الذي يأخذ بمجاميع قلوبنا وبعضهم قال ان الجليل هو العظيم الذي يقهرنا ويشعرنا بعجزنا ويولد في نفوسنا إحساساً بالألم وقالوا ان الجليل هو الهائل الذي يخيفنا ويولد فينا وفي نفوسنا إحساساً بالخطر والتوتر^(١٨) ولا بد من الإشارة إلى لفظة الجمال والجلال استدل عليها من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن ٧٨) وجلال الشيء أية عظمته وجلال الله عظمة الله تعالى فيرى الإمام القشيري ان الجليل هو جامع أوصاف الرفعة والعلو والجميل يمكن ان يقال الجليل والجلال صفة من صفات الجبروت يتصف بها الله سبحانه وتعالى وحده فهو صاحب القهر والغلبة

والجلال لما يمتلكه من العظمة والكبرياء^(١٩) وهذه من الاقوال كما نرى تتضمن وصفا للجليل فإذا شئنا ان نستخرج من هذه الأوصاف تعريفا جامعاً بموجبه علينا ان نقارن بين الجليل والجميل على النحو الذي فعله الفيلسوف (كانت) بقوله تعالى ان الجميل والجليل يندرجان في جنس واحد الا الجميل يتصف بالتناهي والجليل بعدم التناهي^(٢٠) الجميل والجليل حكمهما تأملي (وان كليهما يولدان الرضا بذاتهما) لكن مع فرق ان الجميل يرتبط بصورة الموضوع الذي يتضمن حدوداً محددة بينما الجليل لا يوجد الا في الموضوع القديم الصورة (أي غير محدود) بينما موضوع الجميل يرتبط بصورة الكيف فالآخر يرتبط بصورة الكم والرضا يختلف من الجليل إلى الجميل فبينما هو الجمال يجلب معه الشعور "بتعزيز الحياة وهكذا فهو يتناسب مع السحر الحسي ومع لعب المخيلة فهو في الآخر ينشأ بصورة غير مباشرة لذلك فهو يبدو كعاطفة، أما التمييز الأكثر أهمية بين الجمال والجلال هو ان الجمال الطبيعي يعمل غائته في صورته مما يجعل الموضوع متلائماً مع ملكة الحكم عندنا وهكذا يتحول إلى موضوع الرضا اما الجليل فيبدو فيما يخص صورته بأنه بنا في الغائه وبالنسبة إلى أحكامنا ويكون غير ملائم بمعنى ان صورة الغائية الموجودة في الجمال الطبيعي تجعله واضحاً لمخيلتنا لذلك فالحكم الجميل يكون مطابقاً مع ما تقدمنا به المخيلة من تصور، أما الجليل الذي يتجاوز ما تتصوره مخيلتنا فهو يتعارض معها لذلك فان الجليل في اي موضوع من موضوعات الطبيعة التي يمكن استيعابها فإذا كان الجميل مستنداً إلى مبدأ خارج عنا اي في الطبيعة فان الجليل كما فينا أي في افكارنا وبينما يكون الانسجام بين المخيلة والفهم في الجميل فان الجليل يوقف المخيلة^(٢١).

ولذلك يكون الجليل "قدرة الفكر على اظهار ملكة الذهن الذي يتجاوز كل معايير الجسد" والجليل بموازاته مع اي شيء ما عداه يبدو هذا الشيء شيئاً وصغيراً بالنسبة للجليل^(٢٢) وإذا كانت طبيعة الجميل هي الانسجام فان طبيعة

الجليل هي الصراع بين قوة العقل وقوة التخيل، دع ان تصورنا للجليل يتضمن عنصرين متضادين أحدهما اللذة التي تجذبنا اليه والاخر هو الالم الذي يدفعنا عنه حيث الفيلسوف (كانت) يقسم الجليل إلى رياضي وديناميكي يتعلق الأول بالمقدار والثاني يتعلق بالقوة فالجليل الرياضي يمثل العظمة المطلقة حتى يكون الحسن إزاءها عاجزا عن تحقيق عظمة الموضوع الا ان هذا العجز لا يستمر إذ يترد الفهم إلى ذاته ويقارن بين عظمة الموضوع وعظمة العقل لان أفكار العقل إذا ما قيست إلى افكار الحس فهي اكبر كما في السماء اللامتناهية المليئة بالنجوم فهو المتصف بعظمة الشأن كالسما ذات الابراج^(٢٣) أما الجليل الديناميكي فهو يدلنا على ما في الطبيعة من قوة هائلة تربينا فهو يفشيء أيضاً عن عجزنا ازاء موضوعات تظهر قوى الطبيعة وتبعث شعورا بالالم ينقلب شعورا بالفرح ما دام ندرك عظمة حريتنا الاخلاقية المتفتحة قياسا بصمت الطبيعة الابكم اي ان وجود الموضوع الرهيب والهائل يجعل الذهن يترد إلى عظمة القانون الاخلاقي فيقارن بين عظمة الذاتي أمامه وعظمة القانون الاخلاقي فالإنسان نفسه معجزة لذلك لا يفقده الموضوع الخارجي نفسه بنفسه بل يوضح مدى قوة الإنسان في مجابهة تلك الموضوعات الرهيبية وبهذا فان كان الجميل يولد لدينا الرضا والالم وذلك بسبب عدم الانسجام بين مخيلتنا و عقلنا لكن شعورنا بعظمتنا يولد لدينا الرضا اي مقاومتنا التي تتفوق على كل قوى الطبيعة نعيد الثقة بانفسنا فالجليل الديناميكي هو المتصف بالقوة والحركة كالرياح العاصفة.

حيث ان المفاهيم ذات الصلة بالجمال هو البهاء نجده في معجم لاروس جاء من بها - بهاء أي حسن و جمل فلاناً في الحسن وغيره فاقه وفضله البها والبهاء فصدر المنظر الحسن الرائع العظم والجلال^(٢٤) وفي مختار الصحاح نجد ان البهاء من الحسن^(٢٥) والبهاء فإنه من الحسن من بهي الرجل غير مهموز^(٢٦)

والمعنى نفسه نجده في قاموس البستان فالبهاء قد بهوا بهذا المقام أي آنسوا به حتى قلت هيئته في مكوبهم^(٢٧) وفي المنجد نجد ان البهاء يقال على ما فطنت له وابتنتها به أنس به^(٢٨) أما البهاء اصطلاحا يتجلى معيار الحسن من صفات الله وأفعاله فهذه الصفات هي سبب حُسن كل حسن فهي التي تفيض بالحُسن على غيرها إذا كانت معدنه ومبداه وانما نالت الاشياء كلها الحُسن والجمال والبهاء فمنها وبها والحال هذه ان العلاقة بين الصفات الجمالية والذات الإلهية تنبني على ارتباط العلاقة الأولى بفعل الغيب الذي هو المطلق وهذا يعني حلول مظاهر الحُسن في ذات الحق والتي لا يمكن تداركها بالحواس وإنما بما يدركه العقل الذي من شأنه ان يوحد العلاقة بالغيب ومن هنا يكون مصدر الجمال خارج نطاق الزمان ما دام مستمدا من الجمال الإلهي^(٢٩) وهذا يعني خروجه عن دلالة وصفه المكاني على ان ((الحركة والتغير غريبان عنه وهو يفيض بالحسن على الاشياء كلها لانها من معدنه وصدرت عنه وانما استمدت الاشياء جمالها منه لذلك فهي دائما تشوق إلى كماله وتعشق جماله وتسمى التشبه به والاتحاد معه ذلك ان حسن يضمن دوره الجمالي من خلال صفات الله وأفعاله بوصفها حوامل على الكائنات التي اخذت حد الجمال من ذات الله الخالق، العالم، العليم، الجبار... الخ ومن هنا تكتمل صفة الجمال ويكون سبيل الوصول إليه عن طريق العقل فارتباط العقل مع مثل الكمال لمراتب صفة الجمال الارضي يوحد علاقة الكائن بمرآة الحق وكأنه حُسن الخلق في مثاليته نابعة من العقل فان ذلك لا يعني اهمال الجانب الحسي بوصفه قيمه اجتماعية ترفع صاحبها إلى التعامل من حُسن الخلق فيما توجيه الاشياء المادية والعلاقات الاجتماعية ذلك ان هذا النوع من الجمال الحسي يعطي الذات تحققها الجمالية^(٣٠).

الفلسفة والجمال:-

إن العلاقة وثيقة بين الفلسفة والجمال فالناظر في الفكر الفلسفي يحدد هذه الصلة بينهما بأي نظام فلسفي يتعرض للمشكلات المعرفية والمنطقية والتطبيقية والميتافيزيقية والاخلاقية لا بد وأن يتكامل بمعالجة المشكلات الجمالية وحتى ان وجدنا بعض الفلاسفة لم يكتبوا مؤلفاً بعينه حول الجمال فان نصوصهم الجمالية قد تكون مبثوثة في ثنايا مؤلفاتهم الفلسفية كما وجدنا ذلك في مؤلفات الفارابي والغزالي وقد تحدثت الفلاسفة عن الجمال الإلهي والجمال الطبيعي والجمال الفني والصلة بين أنواع الجمال كما تحدثوا عن التذوق الجمالي واللذة الجمالية والتذوق الفني وعملية الابداع والصلة بين المادة والصورة ودورهما في الابداع الفني كذلك بحثوا في الالهام والعمل ودور المجتمع والفرد في الخلق الفني وغيرهما من مشكلات جمالية حتى ان المؤلفات ذات الصلة بالموضوع تكشف عن علاقة الفلسفة بالجمال ويكفيها هنا الإشارة إلى ان بعض تعريفات الفارابي للفلسفة تذهب إلى انها الصناعة التي مقصدها تحصيل الجميع فقط فالفلسفة عنده تطلب الجمال والعلم بالأفعال الجميلة والفيلسوف الحق عنده هو المحل بالأفعال الجميلة ومثلما عقد الفلاسفة الصلة بين الفلسفة والجمال نرى ان معظم العلماء والمفكرين والنقاد والباحثين والمبدعين في حقول العلوم الإنسانية الطبيعية يتحرون بتحقيق الجمال في منجزاتهم العلمية والأدبية والفنية ويبحثون في الطرق المعرفية والمنطقية وغيرها التي تساهم في تحليل الاعمال الادبية والفنية للوقوف على الجوانب الجمالية فيها مثلما يحاولون وضع القواعد العامة أو التفصيلية على أساسها يمكن أن يسير المبدع الفني في انجاز عمله أو ان يقوم بعملية النقد الجمالي بعمله على وقف تلك القواعد وهنا قد يغيب الموقف العلمي في التعامل مع الموضوع الجمالي^(٣١).

فلسفة الجمال:

إن المؤلفات المتعلقة بالجمال تتضمن تسميات عديدة لهذا الحقل الفلسفي منها نظرية الجمال و علم الجمال وفلسفة الجمال واذا كانت فلسفة العلوم تقوم بدراسة وتحليل المفاهيم والطرق المعرفية والمنطقية للعلم فيقال فلسفة الجمال، فلسفة الأخلاق، فلسفة التاريخ، فلسفة الاجتماع وهكذا في العلوم كلها بحيث تستمد أحوالها من فلسفة العلوم عند دراسته وتحليل المفاهيم والطرق المعرفية والمنطقية المعتمدة في موضوعاتها ومنها الفلسفة وهذا يعني ان الدراسة التحليلية النقدية للمفاهيم والموضوعات الجمالية تهدف إلى بيان حقيقة هذه المفاهيم وصلة بعضها ببعض الآخر حيث هنا نقول ان فلسفة الجمال ترتبط ارتباطا وثيقا بأحد العلوم الفلسفية وهو علم الجمال الذي غرضه صياغة الأحكام التقديرية التي يمكن التمييز بين الجمال والقبح وهو على قسمين نظري وعملي ففرض علم الجمال النظري هو البحث عن الخصائص المشتركة التي يمكن أن تلتقي معاً في إدراكنا لجميع الموضوعات التي تثير فينا لذة جمالية، أما علم الجمال العملي فهو يقوم بدراسة مختلف أشكال الفن للوصول إلى اعطاء حكم جمالي واستخراج الأحكام الجمالية المتعلقة بالانتاج الفني و هو يشابه إلى حد بعيد النقد الفني الا ان النقد الفني يأخذ الاثار الفنية كلا على حدة فكل الموضوعات الجميلة هي موضوع علم الجمال ولكن لا تكون موضوعات علم الجمال دائما جميلة فالطبيعة فيها جمال قد يكون موجودا أو غير موجود ومع ذلك يستطيع الفنان بقدرته الخاصة ان تحقق جمالا فنيا من هنا نصل إلى ان فلسفة الجمال هي عملية وصفية تحليلية بينما علم الجمال هو علم معياري وصفي يضع القوانين والقواعد التي يسير بمقتضاها علم الجمال من أجل الحكم على جماليته العمل الفني ففلسفة الجمال تبحث فيما هو كائن أما علم الجمال فيبحث فيما ينبغي أن يكون^(٣٢).

الفلسفة الجمالية:-

إذا كانت فلسفة الجمال تهتم بدراسة وتحليل المفاهيم والطرق المعرفية والمنطقية المؤدية إلى تكوين جمالية شاملة إلى الكون من خلال عقد الصلة بين أنواع الجمال الإلهي الطبيعي والفني ومن خلال تصور المجتمع ونظيره إلى الكون وتصور العلماء والمفكرين والفلاسفة للجوانب الجمالية باختصاصاتهم المتنوعة^(٣٣) هذا وقد جاء في المعاجم والقواميس تعريف للجمالية فنجد في موسوعة لاروس "انها من الفلسفة القسم الذي يستهدف دراسة الجمال"^(٣٤) أما معجم لالاند الفلسفي فيقدم لنا مادة الجمالية بالقول "الجمالية تكون نظرية أي عامة إذا ما استهدفت ان تمدد ما هي الصفة أو هي مجموع الصفات والخصائص المشتركة التي يمكن ان تتلاقى معا في إدراكنا لجميع الموضوعات التي تثير فينا الحسن الجمالي^(٣٥) وتكون الجمالية عامة أو خاصة إذا ما استهدفت البحث في مختلف أشكال الفن أما النقد الفني فإنه يقوم على دراسة مختلف الاثار الفنية مأخوذة كلاً على حدة أما في الموسوعة الميسرة فنجد ان الجمالية "تدرس طبيعة الجمال والفن والمبادئ التي يبنى عليها التعبير الفني في مختلف وسائله^(٣٦) وله مدرستان رئيستان احدهما يجعل الجمال موضوعياً كائنا في الشيء الجميل نفسه والاخرى مرهونا بالإدراك الذاتي عند الشخص المدرك^(٣٧) وجاء في موسوعة هيغل " ان الجمالية هي تلك الاحساسات على نظرية الجمال تلك^(٣٨) ومصطلح الجمالية مألوف لدى الفلاسفة أما الفرنسيون فيقولون انه نظرية الفنون أو نظرية الاداب الجمالية أما الفلاسفة الانكليزية فيدرجونها في النقد وهنالك مصطلح الجمالية الفلسفية وهو الاتجاه الضمني أو الصريح إلى تفضيل المذاهب الفلسفية الجميلة على المذاهب الفلسفية الصحيحة، أما الجمالية الاخلاقية فهي الاتجاه إلى التنظيم السلوك وفقاً لمقتضيات الجمال لان الحياة عند أصحاب هذا الاتجاه لا تكون كاملة الا إذا

كانت جميلة ولان البحث عن الترتيب والانسجام أفضل من التقييد بواجبات العدالة الضيقة في حين ان الجمالية الفنية هي البحث في الاثار الفنية من جهة ما هي وثائق نفسية تكشف عن طبيعة صانعيها أو عن طبيعة الجمهور الذي يتذوقها ويقابله علم الجمال النفسي - الفينوميتولوجي وعلم الجماعي وعلم الجمال الفلسفي^(٣٩) وقد استنتج إلى ان الفكر الفلسفي قد أفصح كثيرا عن موضوع المطلق الذي لا يتغير ولا يستبدل وهو دائم أزلي أبدي كما فعل افلاطون في حديثه عن الجمال بالذات في عالم المثل وكما فعل فلاسفة الإسلام في حديثهم عن الجمال الإلهي وكيف ان هذا الجمال هو السبب لوجود الجمال في الطبيعة فكل جمال في الكون هو نتيجة للجمال الإلهي وإذا فنحن امام موقف فلسفي يرسم صورة جمالية للكون تقوم على أساس وجود جمال مطلق هو سبب لكل أنواع الجمال وان هذا الجمال يحقق لذة لمدرکه ومثلما تحدث الفلاسفة عن الجمال الإلهي تحدثوا ان الجمال الطبيعي وبحشوا في موضوع النظام والتناسق الموجود في الكون واثرها في تحقيق الجمال في هذا العالم وليس غريبا علينا الصورة الجمالية التي يرسمها الشعراء بخاصة والادباء بعامة فهم يصورون في ادبهم الطبيعية وما فيها من عناصر فنية وجمالية مثلما نجد ايضا اتجاهات فلسفية توحد بين الخالق والمخلوق في وحدة وجود مادته أو وحدة شهود روحيته المتصوفة يمكن ان نلتمس من خلالها نظريتهم أي الجمال في الكون والصورة الجمالية التي هو عليها^(٤٠) إذا وفقنا لما سبق فقد استنتج الباحثون المعنيين بشؤون الجمالية على اختلاف نزعاتهم ومعارفهم باستنتاج مفاده "ان الجمالية هي فلسفة الفن بصورة عامة بما في ذلك الابداع الادبي بوصفه نوعا من الفنون الجميلة وعلى هذا فانه يلزم ان يتصف البحث العقلي في قضايا الادب والفن ولا يختلف العمل الابداعي في ذلك حتى يرقى إلى مستوى الجمالية ويصبح في نطاق علم الجمال على ان تكون النظر في مستندا إلى نظرة فلسفية عامة تسمو على النظرة الانفعالية الشعورية"

أو مستوى الإدراك الشعوري " وتتجاوز التفكير المنجز الذي لا يصل إلى حد ربط الظاهرة الفنية بطاهرات الحياة عامة بل تحاول تعمقها وتقصيها في ذاتها منعزلة عن غيرها من ظاهرات الوجود "أي مستوى الإدراك النقدي" وصولاً إلى المستوى الفكري الأرقى الذي هو البحث الفلسفي في الفهم أو فلسفة الفنون الجميلة على اختلافها فيما بينهما وعلى ارتباطها بغيرها من أنشطة الإنسان ومن ظاهرات الوجود " وهو مستوى الإدراك العقلاني الفلسفي " اي مادون ذلك من نظرات أو تأملات في الفن فليست تدخل في نطاق الجمالية بالمعنى تكن ربما أولى ولازمة في تكوين الجمالية وتطورها نحو التكامل الفلسفي وارتباطها بشمولية الفلسفية ومنهجيتها^(٤١).

تتألف جملة المعطيات الأساس التي يتناولها هذا العلم بالبحث من:

- ١- الاعمال الفنية بأنواعها من جهة وصفها وتحليلها ومقارنتها بعض ببعض.
- ٢- السلوك الإنساني والخبرة البشرية في توجههما نحو الجمال.

وبهذا تكون الجمالية قد أحاطت بالفنون جميعها من ادب وموسيقى ومسرح وسينما فضلاً عن الرسم والنحت والعمارة حتى البستنة وتصميم المدن وتخطيطها فهي سواء بسواء وبالصورة التي يستبديات بها للمس الجمالي فهي لاحتوائها هذه الافاق الواسعة من البحث العلمي فقط اطلق عليها اسم الجمالية العامة أو المقارنة هذا إلى اننا نجد في الوقت نفسه من يقصر وجوده في الميدان ذاته على معالجة المشكلات النظرية المتعلقة بفن واحد من تلك الفنون فحسب وتستعين الجمالية المعاصرة بالعلوم السابقة عليها أو باية معرفة من شأنها ان تسهم في تسليط الضوء على المشكلات الخاصة بالفنون عبر العصور وقد كشف النقاب عن أطوارها المنقلبة في مجالات الحضارة وهي تميل بشكل خاص إلى الاستعانة بعلم النفس " وضمناً التحليل النفسي وعلم النفس السريري لأنه يعمق من فهمنا لعملية الخلق الفني كما عدد أيضاً أسس

تقومها هذا فضلاً عن قدرة تلك العلوم على النفاذ إلى المداليل الرمزية التي تشحن مختلف الرؤى الفنية وتجليه للمؤثرات الوجدانية المتشابكة والفاعلة فيها فيها كما تعنى الجمالية بالتأثير المستحصلة في ميدان الدراسات الاجتماعية كالانثرومولوجي مثلاً لأنها تزودنا بالمعلومات التي توضح لنا الكيفية التي تتم بموجبها المواجهة بين مختلف الأنشطة الفنية والنموذج الثقافي للمجموعات البشرية في عصر من العصور^(٤٢).

لذا يمكن ان تعد "الجمالية" من الواجهة المنهجية علماً وصفاً في المقام الأول إذ انها تركز اهتمامها في الكشف عن الحقائق الخاصة بالفنون والعمل على تعميمها فضلاً عن دراسة ما يتصل بهذه الفنون من قوى وفعاليات إنسانية^(٤٣) لكنها لا تنأى بنفسها عن اشكاليات القيمة الا انها تمسها بطريق غير مباشر وذلك من خلال تحري منهم أوسع للطبيعة الفعلية للفنون وتحديد اعم تأثيراتها ووظائفها المختلفة وهو السمي الذي يتعين ان يؤخذ في الحسبان إذ ما أنشدنا تقويماً يتخطى الحماس الدوغمائي أو فحص الانطباع المستند إلى تذوق شخصي ان الجمالية لا تدعي لنفسها القدرة على تعيين قواعد محدودة للقيمة الا انها تجد في طلب المعارف وايجاد السبل التي تتيح التوصل إلى عملية تقويم أكثر عقلانية وأشد علمية فهي لا تتعاشش التطرق إلى مفهوم الجمال بالمعالجة لكنها تبدو حماسة أقل من الجمالية التقليدية إلى النزوع نحو صياغة واقرار تعريفات محددة لمفاهيم قبل الجميل السامي والقبيح... الخ الا انها تسعى عوضاً عن ذلك إلى الاحاطة بمجمل المواصفات الدقيقة التي تسهم في تكوين الخبرة الجمالية وبالهيئة التي تكون عليها لدى ستلقى الاثر الجمالي^(٤٤) أو في كل ما من شأنه استثارة تلك الخبرة وتحفيزها ذلك لأنه قد بات ينظر إلى مسألة تحديد تعريف مفهوم مثل الجميل على انها مشكلة سيমানطيقية ليس في المستطاع الوصول إلى جوانب محدد وواحد فقط لها الا بالوسيلة الوحيدة

الممكنة والمتمثلة في تحليل مختلف الظواهر التي تتسم بهذا المفهوم الجميل والعمل على حصر وتحديد اللفظ الاكثر ملائمة للتعبير عنه^(٤٥).

نظرية المعرفة الجمالية:

لما كانت العلاقة وثيقة بين وجود الجمال والعلاقة بين الذات المدركة والموضوع المدرك وان طبيعة الجمال والابداع في العلم والادب والفن قائمة على أساس تلك العلاقة فإن اجث في امكان المعرفة وحدودها ووسائلها وموضوعاتها وأنواعها من ناحية جمالية تكشف البناء المعرفي والجمالي لتلك الاعمال والاسس المعرفية والجمالية التي تقوم عليها وهذا ما يمكن بيانه من خلال نظرية المعرفة الجمالية، ان نظرية المعرفة الجمالية تتساءل عن امكان المعرفة الجمالية وطبيعة هذه المعرفة والوسائل المؤدية إلى ادراك الجمال بأنواعه الثلاث الجمال الإلهي والجمال الطبيعي والجمال الفني فقد بحث الفكر الفلسفي في امكان معرفة الجمال الإلهي من خلال الحديث عن الجمال الازلي المطلق والابدي الدائم الذي لا يتغير ولا يتبدل وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين الجمال الإلهي والجمال الطبيعي والجمال الفني فان الفكر الإسلامي قد تعرض لهذه الأنواع من الجمال حتى ذهب بعضه إلى ان الجمال الفني هو الواقع الوحيد المطابق لفكرة الجمال والجمال الطبيعي هو أول تعبير عن الجمال لكن الفكرة هي الجمال الكامل في ذاته بينما الطبيعة هي الجمال الناقص فكيف يختلف الجمال الطبيعي عن الجمال الفني وهكذا اصبح البحث في الاختلاف بين أنواع الجمال يكشف عن الجوانب المعرفية والقيم الجمالية الحسية والشكلية الارتباطية في تلك الأنواع فإدراك القيم الجمالية الحسية يتعلق بادراك الالوان وإدراك القيم الجمالية الشكلية يتعلق بادراك العلاقات بين الأجزاء المكونة للعمل الجمالي وادراك القيم الارتباطية بادراك المضمون فضلاً عن ما يترتب على إدراك تلك القيم من لذة الجمالية^(٤٦) وبالامكان

القول ان الصلة بين المعرفة والجمال تكشف عن امكان الحديث عن معرفة جمالية حسية ومعرفة جمالية عقلية ومعرفة جمالية تجريبية ومعرفة جمالية حدسية ومعرفة جمالية الهامية وغير ذلك ومؤلفات العلماء والمفكرين والفلاسفة سواء في حديثهم عن الجمال وأنواعه أو عن عمليات التذوق الفني والموقف الاستطقي من الموضوع الجمالي أو عن عمليات الابداع الفني ودور تلك المعارف فيها تفصح عن امكان بناء هذا الجانب المعرفي والجمالي ومثلما يساهم البحث في أنواع المعارف وصلتها بالجمال في بناء نظرية المعرفة الجمالية يساهم الحديث عن طبيعة الجمال في ذلك البناء فقد ناقش البحث الفلسفي موضوع وجود الجمال هل هو موجود موضوعي وان الجمال صفة دالة في الشئ الجميل تلازمه وتقوم فيه دون وجود عقل يقوم بأدراكها اما ان الجمال معنى عقلياً وليس صفة عينة تقوم في الشئ الجميل مستقلة عن كل ادراك ام ان العلاقة بين الموضوعي والذاتي تؤديان إلى تحقيق وجود الجمال^(٤٧).

طبيعة الجمال وموقف الفلاسفة منه :-

كانت طبيعة الجمال مثاراً للخلاف بين الباحثين أدى إلى وضع مجموعة من النظريات وحسبنا ان نشير إلى النزاع الذي ثار بين مدرستين تعد احدهما الجمال صفات أو خصائص عينية موضوعية مستقلة عن العقل الذي يدركها والمدرسة الثانية لا ترى للجمال وجوداً موضوعياً فترده إلى القوى التي تدركه^(٤٨) فأما المدرسة الأولى فتقول ان للجمال وجوداً موضوعياً ولهذا اتفق في تذوقه والاستمتاع به جميع الناس في كل زمان ومكان فالشئ الجميل يقوم بالقياس إلى ما فيه من خصائص تثير الاعجاب بجماله ومن دعاة هذا الاتجاه الفيلسوف الحدسي "برايس" فالجمال عنده صفة حالة الشئ الجميل تلازمه وتقوم فيه ولو لم يوجد عقل يقوم بأدراكها بل القول بان الأحكام الجمالية موضوعية وليست ذاتية ينحدر إلى أفلاطون قديماً وقد طبق الفيلسوف "بل"

حديثاً نظرية أفلاطون في موضوعه الجمال عندما تحدث عن دلالة الآثار الفنية ومشاكل النقد الفني ولكن البعض يقولون ان تصور الجمال يتغير من عصر إلى عصر ومن جنس إلى جنس بل قد يختلف باختلاف الأمر في المكان الواحد والبيئة الواحدة واختلاف الناس في تذوقهم للقطع الموسيقية والقصائد الشعرية والصور الفنية يشهد بما نقول فليس من اليسير على الأوربي أن يستمتع بموسيقى صينية أو يطرب لشعر مصري ومن هنا نشأ اتجاه المدرسة التي عارضت الاتجاه السالف واعتبرت الجمال معنى عقلياً وليس صفة عينية تقوم في الشيء الجميل مستقلة عن كل إدراك وأظهرت من يمثل الذاتية المتطرفة في فهم الجمال "تولستوي" وصفوة الرأي عنده أن قيمة الشيء الجميل قصيدة شعرية كانت أو صورة فنية أو سيمفونية أو تمثالاً إنما تقوم أولاً وأخيراً على تأثيرها فيمن يتلقونها فالفن عند تولستوي اشتراك في الانفعال فإذا روى رجل قصة أو أنشأ أغنية أو رسم صورة وهو يقصد إلى اشتراك غيره في عواطفه فقد أحس نفسه وظهر بهذا فن فإذا كانت العاطفة حية وصدت عن اتجاه غض نظر تجلى من عظيم أما الفن الذي يزعم انه يهدف إلى الجمال فهو ينشد في الواقع إثارة اللذة فليس هو بفن اطلاقاً^(٤٩) ولعلنا في وسعنا ان نلخص هذه الذاتية المتطرفة بقولنا ان جمال الأثر الفني - شعراً - كان أو تصويراً أو موسيقى لا يقوم الا بالقياس إلى ما يظنه الناس في أمره وللمفاضلة بين قطعتين فئتين يكفي أن يعصي نصيب كل منهما أصوات المعجبين بها وعلى قدر حظ القطعة الفنية من أصوات المعجبين يكون نصيبها من الجمال الفني لان الجمال ليس شيئاً موضوعياً حالاً في آثار الفن ومشاهدة أنه مرهون بالتأثير الذي يحدثه في نفوس الذين يتصلون بإثارة ولا يوجد إلا في قلب الإنسان الذي يتذوق الجمال ومن ثم يكون سبباً يتوقف على شخصية الفرد ومستوى حضارته ومبلغ حظه من الثقافة الفنية بوجه خاص وليس عاماً مطلقاً ولا يتقيد بزمان ولا مكان وهناك مدرستان فلسفتان تصدتا لدراسة الجمال اهو نافع أم

غير نافع الأولى ترى ان المنفعة أساس التقدير الجمالي وتحكم على الشيء انه جميل لأنه نافع والثانية تقول في وجوب التمييز بين الجمال والمنفعة فقد يكون الشيء غير نافع ولكنه جميل كالعنب السام مثلاً وعليه فصفة الجمال لا تتعلق بأي صفة أخرى لأننا ننظر إليها في ذاتها ولذاتها وكذلك القيمة الجمالية تتحدد لذاتها لا لتتائجها كما هو الحال في القيمة الأخلاقية أو الدينية أو الاقتصادية ويرى "أبوريان" بأننا قد نجد صراعاً في حياتنا بين كل من الاتجاه الجمالي والاتجاه الأخلاقي والاتجاه إلى الحق وتتميز شخصية كل فرد منا بما يحفظه للتوازن بين هذه الاتجاهات الثلاثة وأما بان ينفرد بشخصية يغلب عليها لون واحد مسيطر من هذه الألوان الثلاثة مع وجود اللونين الآخرين في ظل اللون البارز.

وهكذا يتضح من خلال استقراء تاريخ تطور مباحث فلسفة الجمال، كيف أن جميع الجهود المعاصرة في هذا المجال تتجه نحو إقامة علم خاص لدراسة الظواهر الجمالية تمشياً مع النزعة العلمية المعاصرة التي تتجه تدريجياً إلى تبني النظرة الوضعية المخلصة من التأمل الفلسفي في تناولها لظواهر الكون أو الإنسان.

ولكننا نلاحظ تعثر معظم هذه المحاولات، ولاسيما في مجال الدراسات الإنسانية، وبصفة خاصة في ميدان الدراسات الجمالية، ولهذا فإن أي محاولة لإقامة علم تجريبي للجمال على نسق العلوم الطبيعية والكونية لن تبلغ أهدافها المتوخاة، إذا غفلت مباحث فلسفة الجمال، ذلك أن ظاهرة الجمال تستند أصلاً إلى الذوق وهو ذو طابع فردي بحت، يقطع النظر عن السياق البيولوجي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو التاريخي العام له^(٥٠) ومن خلال تحليل عملية التقدير الجمالي يتضح كيف أن التربية الجمالية تتدخل كعامل له أهمية لصقل الذوق، فيظهر نوع من التقارب الاعجابي حول سمات معينة، في كل بيئة

بعينها أو لدى شعب معين وفي زمن معين وفي ظل حضارة معينة. وقد اختلفت مواقف الجمالين المعاصرين في تفسيرهم لظاهرة الجمال، ولكن هذه المواقف تنحصر في اتجاهين كبيرين هما:

١- اتجاه ميتافيزيقي (حدسي

٢- اتجاه تجريبي.

٣- اتجاه وجودي^(٥١) واتين سوربو وتولستوي ورسكن وكروتشه. وأصحاب هذا الاتجاه أو هذه المدرسة على اختلاف نزعاتهم الفلسفية، يستندون إلى تأملات وأفكار فلسفية مسبقة متعالية عن التجربة الحسية - في تفسيرهم الجمال الموضوعي، هذا الجمال الذي ينبث - حسب رأيهم - في وحدات الجمال بالمحسوس. أي أنهم يجعلون للجمال مصدراً يعلو على الواقع الحسي ويجاوزه^(٥٢).

مثلاً تولستوي: يعتبر الفن شرطاً جوهرياً للحياة الإنسانية، ويعرفه بأنه نشاط إنساني يستخدمه الأفراد في نقل مشاعرهم من الواحد إلى الآخر، ولهذا فإن الفن عامل هام من عوامل توحيد البشر، ومساعدتهم في تحقيق المثل العليا، ومن ثم فيتبين أن يكون هذا الإنتاج الفني مقبولاً ومفهوماً لديهم. ونجد رسكن: فهو يرى أن الشعور الجمالي غريزي في الإنسان أي أنه سابق على التجربة، ويصدر الفن عن غريزة التقليد، وعن رغبة الإنسان في تجسيد شيء معين، أو وصفه، ولكن الأساس الموضوعي للفن هو الجمال الإلهي المشاهد في الطبيعة، والذي يعد نقشاً بيدعه الله في مخلوقاته. فالفن المتكامل إنما ينقل عن جمال الطبيعة الإلهي، ومن ثم فهو يدفع الإنسان إلى التسامي أخلاقياً، ولهذا فالفن عند رسكن دوره الفعال في التربية الأخلاقية. ^(٥٣) نيتشه: يتجه وجهة تشاؤمية رومانطيقية ويعتق الوضعية الشكية التي يرجع فيها كل شيء

إلى حرية العقل، ولهذا فهو يعيد البناء من جديد لإظهار القيم التي نحتاج إليها في حياتنا. لكي تدوم هذه الحياة وتقوى وتشتد، والقيم الجمالية من أهم هذه القيم التي تسهم في هذا النشاط الحيوي^(٥٤) ونجد جورج سانتيانا: يشير إلى أن الجميل هو في حقيقة أمره نوع من التقدير الموضوعي للذة أو السرور. أما الاتجاه الثاني هو الاتجاه التجريبي: في دراسة الظاهرة الجمالية - ويضاف إليه الاتجاهين الوضعي والعلمي - فيمثله "فاجنر" الذي يعد رائداً لهذا الاتجاه في علم الجمال، وهو يستخدم الاستقراء في الكشف عن الجمال الموضوعي بادئاً من الواقع المحسوس، لكي يتوصل إلى تعيين القطاع الذهبي في وحدات الجمال المحسوس، وفي سبيل ذلك قام فجنر بتحليل مئات من الأشكال والمساحات ووضع عدة جداول إحصائية وبيانية ولكنه لم يحرز تقدماً ملحوظاً في هذا الاتجاه.

ثم جاء أتباع مدرسة فجنر وربطوا بين علم الجمال والبيولوجيا اقتداءً بإميل دور كايم الذي ربط بين علم الاجتماع والبيولوجيا. ويقابلنا أيضاً تيار علم الجمال الفزيولوجي عند جرانت آلان، وعلم الجمال النفسي عند فولدت، والنظرة الجمالية الاجتماعية ذات الطابع الجدي عند هيربرت سبنسر^(٥٥).

كما حاول تين تاسيس علم جمال تاريخي، بتحديد له للخصائص الموضوعية الثابتة لظواهر الجمال والكشف عن قوانينها. فأشار إلى أن ثمة عناصر ثلاثة يتأثر بها الجمال وهي البيئة والزمان والجنس.

وقد أسهم شارل لالو بمجهود كبير في إرساء دعائم هذا العلم، وذلك بمحاولة وضع نظرية تفسر ظواهر المجتمع الجمالية وتطورها خلال التاريخ^(٥٦) يوجد ثالثاً الاتجاه الوجودي في علم الجمال؛ والوجودية في إطارها الفلسفي كما بالإمكان سياسية، ولم تكن لها أن تتلاءم مع الأنماط السياسية السائدة.

وكذلك ليس بالإمكان عدّها إيديولوجيا. كما أن الفلاسفة الوجوديين لم يحاولوا على اختلاف مشاربهم وأهوائهم تأسيس إيديولوجيا، والترويج لها، على الرغم من اقتراب بعضهم قليلاً أو كثيراً من هذا المذهب والاتجاه أو ذاك - هيدجر من النازية، سارتر من الماركسية، في سبيل المثال - بيد أن الطابع السياسي للوضع البشري، وتأثير العامل السياسي في تحديد أقدار المجتمعات والأفراد جعل من الوجوديين على تماس مع السياسة، وتجلت وظيفتهم الكبرى في هذا المضمار بالنقد.. نقد المذاهب والإيديولوجيات والأفكار التي تحد من الحريات الإنسانية، وتفتح الذات الإنسانية الخلاقية. ولعل سارتر هو أكثر الفلاسفة الوجوديين اهتماماً بالشأن السياسي. وهذا الاهتمام هو الذي قاده أفكارنا إلى الماركسية.. يقول: (إن الماركسية بيننا ليست مجرد فلسفة: بل هي مناخ الموضوعي. إننا الوسط الذي تتغذى منه، الحركة الحقيقية لما يسميه هيجل الفكر الموضوعي. إننا نرى فيها ثروة ثقافية لليسار. بل إنها وحدها الثقافة منذ أن مات الفكر البورجوازي، لأنها هي الوحيدة التي تسمح بفهم البشر وفهم الأعمال والأحداث^(٥٧) تركت الوجودية أثرها في الآداب والفنون، وفي رؤية المعاصرين إلى ذواتهم وزمانهم وعالمهم. وإذا استبعدنا تحت طائلة تبدل الشروط التاريخية التي تتحكم بالوضع والفكر البشريين احتمال عودة الوجودية بجلتها القديمة، ومنها ما أضافها سارتر عليها، لتكون موضحة لجيل جديد، فإن الوجودية تسربت، لا شك، إلى نسيج ثقافة العصر وخلاياها، مخلّفة بعضاً من صبغتها وأثرها فيها. وكما نقول إن الثقافة الإنسانية قبل ماركس ليست هي الثقافة ذاتها بعد تسيد الماركسية، على الرغم من إخفاقات التجارب الاشتراكية المستلهمة لماركس. كذلك، في مقدورنا القول، ولو بدرجة أقل، أن ثقافتنا الإنسانية قد أخذت من الوجودية وسارتر ما صيرتها أوسع واغنى^(٥٨).

الخلاصة:

فقد انقسموا الفلاسفة فيما بينهم بالنسبة إلى موقفهم من الجمال إلى أكثر من رأي ممثلاً عند الفلاسفة المثاليين صفة قائمة في الأشياء ومن ثم هي ثنائية لا تتغير ويصبح الشيء جميلاً في ذاته أو قبيحاً في ذاته بصرف النظر عن الظروف من يصدر الحكم وهذا هو رأي أفلاطون في حين يرى الفلاسفة الطبيعيون انه اصطلاح تعارفت عليه مجموعة من الناس متأثرين بظروفهم ومن ثم يكون الحكم بجمال الشيء أو قبحه مختلفاً باختلاف من يصدر الحكم ويعتقد أكثرهم ان صفة الانسجام في الشيء اقرب ما يكون إلى الجمال في يحين قال بعضهم ان الجميل هو كل ما يثير فينا الاعجاب والسرور ورأي آخرون ان الجمال هو الحقيقة في شكلها المثالي.

هوامش البحث

- (١) التهانوي، محمد علي الفاروقي: كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفى عبد البديع، ج١، القاهرة، ١٩٦٣، مادة جمال، ص٣٤.
- (٢) البستاني، الشيخ عبد الله: معجم البستان ج١ بيروت، ١٩٧٣ مادة جمل ص٤٥.
- (٣) معجم مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، مطبعة التقدم العربي، ١٩٧٢، مادة جمل، ص٩٥.
- (٤) الرازي محمد بن ابي بكر مختار الصحاح، الكويت، ١٩٨٣ مادة جمل، ص١١١.
- (٥) قاموس المناهل ط١، دار الصفا، ٢٠٠٣، مادة جمل، ص٥٠.
- (٦) المخصص: ابن سيدة ص١٦٠.
- (٧) ابن منظور أبي الفضل جمال الدين لسان العرب المحيط، المجلد الأول، بيروت، مادة جمل، ص١٢٦.
- (٨) المنجد، ط٨، بيروت، ١٩٧٥ مادة جمل، ص١٠٢.
- (٩) شلق، د. علي: العقل في التراث الجمالي عند العرب، ط١، بيروت، ١٩٨٥، ص١٨.
- (١٠) المصدر نفسه ص١٨٣.
- (١١) ابراهيم، محمد اسماعيل قاموس الألفاظ والاعلام القرآنية، القاهرة، ١٣٨١، ص٦٩.

- (١٢) د.علي شلق، المصدر السابق ص١١٨.
- (١٣) صليب، د.جميل: المعجم الفلسفي ج ١ ط١، بيروت ١٩٧١، مادة جَمَل، ص٤٠٧.
- (١٤) الطويل، توفيق وسعد زيدان: المعجم الفلسفي، ج١، القاهرة ١٩٨٣، ص٦٢.
- (١٥) المالكي، د، قبيلة فارس، الجمال في الفكر العربي، جملة الحكمة، العدد ٢٢، ص١٣٤.
- (١٦) الزيايدي، صدام: المدخل إلى الفلسفة ج١، بغداد، ١٩٨٩، ص١٠٥.
- (١٧) صليب، جميل: مصدر سبق ذكره ص٤٠٩.
- (١٨) بودتوي، جولوس: الفيلسوف وفن الموسيقى، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة ١٩٧٤ ص١٢٦.
- (١٩) المنجد، صلاح الدين: جمال المرأة عند العرب، بيروت، ١٩٧٥، ص١٢٦.
- (٢٠) صليب، جميل: مصدر سبق ذكره ص٤٠٤.
- (٢١) مختار الصحاح: مصدر سبق ذكره ص١٠٧.
- (٢٢) الطرابلسي، ظاهر أحمد الراوي، القاموس المحيط ج١، ط١، القاهرة، ص٤٤٣،
- (٢٣) المصدر السابق، ص٤٤٦.
- (٢٤) قاموس المنجد، مصدر سبق ذكره ص٤٤٧.
- (٢٥) صليب، جميل: مصدر سبق ذكره ص٤٠٤.
- (٢٦) العزاوي، هديل سعدي: فلسفة الجمال من منظور إسلامي، مجلة الحكمة، العدد ٨ ص١٦٣.
- (٢٧) صليب، جميل: المعجم الفلسفي ص٤٠٥.
- (٢٨) إبراهيم، زكريا: كانت أو الفلسفة النقدية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٨٣.
- (٢٩) المصدر السابق ص٣٨.
- (٣٠) قاموس، البستان مصدر سبق ذكره ص١٩٨.
- (٣١) الكبيسي، د.محمد: نحو فلسفة تطبيقية جمالية، المؤتمر القطري الثالث للفلسفة، الجامعة المستنصرية، ص١٥٥.
- (٣٢) كمر، وائل أحمد: الرؤية الجمالية في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير مخطوط، بغداد، ١٩٩٥، ص٨٦.
- (٣٣) معجم لالاند: ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت، ١٩٩٣، ص٨٥.
- (٣٤) موسوعة لاروس، ص٣٧.
- (٣٥) معجم لالاند المصدر السابق، ص٨٧.
- (٣٦) الموسوعة الميسرة: صادق جلال العظم وآخرون، بيروت - لبنان ١٩٨٧، ص٦٤٠.
- (٣٧) عوض، د.رياض: مقدمات في فلسفة الفن، ط١، لبنان، ١٩٩٤، ص١٨.
- (٣٨) موسوعة الفلسفة، هيغل، ترجمة امام عبد الفتاح، بيروت.
- (٣٩) جميل صليب، المعجم الفلسفي، ص٤٠٨.

- (٤٠) مهدي، ثامر: الفكر العربي المعاصر (ملاحظات أولية حول درس الأدب الفلسفي)، ط١، بغداد، ١٩٩٩، ص ١٦٣.
- (٤١) المصدر السابق، ص ١٠.
- (٤٢) المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٤٣) المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٤٤) المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٤٥) المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٤٦) الكبيسي، د. محمد: المصدر السابق ١٥٧.
- (٤٧) المصدر السابق ص ١٥٨.
- (٤٨) الطويل، توفيق: أسس الفلسفة ص ٤٥٦.
- (٤٩) المصدر السابق ص ٢٥٧.
- (٥٠) د/ محمد على أبو ريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٥٤.
- (٥١) المصدر، ص ٥٥.
- (٥٢) سابق، ص ٥٥.
- (٥٣) نفس المرجع، ص ٥٦.
- (٥٤) نفس المرجع، ص ٥٨.
- (٥٥) د. راوية عبد المنعم عباس، (القيم الجمالية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص ٢١٦.
- (٥٦) المرجع السابق، ص ٢١٩.
- (٥٧) د. محمد أبو ريان، مرجع سابق، ص ٦٠.
- (٥٨) معلومات مستقاة من شبكة المعلومات الدولية.